

وَعِي مَعْنَى كَوْنِنَا أُمَّةً

{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ
الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا }

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى
الله عليه وسلم بَعَثَهُ وَمَعَادًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ (يَسِّرًا وَلَا تُعَسِّرًا
وَيَسِّرًا وَلَا تُنْفِرًا وَتَطَوَّعًا وَلَا تَخْتَلِفُوا)

إِخْوَتِي الْكَرَامَ !

فَلَنُكْرَ الْآنَ ! أَلَمْ يُصْبِحِ السُّلْمُ وَالسَّعَادَةُ وَالسَّلَامَةُ وَالْأَمْنُ،
أَشْيَاءَ لَا يُمَكِّنُ الْكَلَامُ عَنْهَا فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، بِسَبَبِ بُعْدِنَا
عَنِ الْخَصَائِصِ الَّتِي تُفِيدُهَا هَذِهِ الْآيَةُ وَذَلِكَ الْحَدِيثُ ؟ أَوَلَمْ
نَكُنْ لِنُصِيحِ خَيْرِ أُمَّةٍ ؟ أَوَلَمْ نَكُنْ لِنَأْمُرِ بِالْمَعْرُوفِ وَلِنَنْهَى
عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ لَكِنَّا الْآنَ فِي وَضْعٍ نَقُلُ فِيهِ الْمَعْرُوفُ عَلَى
السُّنَنِ النَّبِيِّ، وَالتَّيْسِيرِ، وَالتَّشْيِيرِ، وَعَدَمِ التَّنْفِيرِ، وَحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ
مَعَ بَعْضِنَا الْبَعْضِ، وَعَدَمِ الْإِخْتِلَافِ وَالْمُنَارَعَةِ ! أَيْنَ نَحْنُ
مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ ؟

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكَرَامَ !

لَا شَكَّ أَنَّ النَّاسَ جَمِيعًا بِحُكْمِ كَوْنِهِمْ مُتَنَاسِلِينَ عَنْ سَيِّدِنَا آدَمَ وَ
حَوَاءَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَذُجِّلُوا إِخْوَةً مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ. وَكَذَلِكَ
يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الْحُجْرَاتِ : { إِنَّمَا
الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ }. وَبِهَذَا رَفَى الْإِسْلَامُ هَذِهِ الْأُخُوَّةَ إِلَى تَرَجِيهِ
أَعْلَى، وَجَعَلَ أَنْاسًا مِنْ أَقْوَامٍ مُخْتَلِفَةٍ إِخْوَةً فِي الدِّينِ. وَ لَقَدْ
رَأَيْنَا كَيْفِيَّةَ هَذِهِ الْأُخُوَّةِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ
إِلَى الْمَدِينَةِ. فَمَجْمُوعٌ مَا يَتَكَوَّنُ بِهِذِهِ الْأُخُوَّةِ، هِيَ الَّتِي تُسَمَّى
"أُمَّةً". لِذَلِكَ، كَمَا يَقَعُ عَلَيْنَا مَسْئُولِيَّاتٌ قَبْلَ بَنِي جَنَسِنَا، فَإِنَّا
أَيْضًا مُحْمَلُونَ بِمَسْئُولِيَّاتٍ قَبْلَ أُمَّتِنَا بِحُكْمِ كَوْنِنَا إِخْوَةً فِي
الدِّينِ. فَهَذَا الْإِدْرَاكُ وَالشُّعُورُ، هُوَ الْوَعْيُ لِمَعْنَى كَوْنِنَا أُمَّةً.

إِخْوَتِي الْكَرَامَ !

يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ
أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ
شَهِيدًا }. وَ "الْأُمَّةُ الْوَسْطُ" الَّتِي أَفَادَتْهَا الْآيَةُ، هِيَ الْأُمَّةُ
الْمُتَوَازِنَةُ وَالْمُتَعَادِلَةُ، وَ الَّتِي تَتَّبِعُ الطَّرِيقَ الْوَسْطَ وَ لَا
تَتَطَرَّفُ فِي شَيْءٍ. وَ أَمَّا الْخَصَائِصُ الَّتِي يَنْبَغِي أَلَّا تُوجَدَ فِي
"الْأُمَّةِ الْوَسْطِ" أَلَيْتَهُ فَهِيَ : الْإِفْرَاطُ وَ التَّفْرِيطُ. فَالْإِفْرَاطُ، هُوَ
الْإِكْتَارُ وَ الْمَبَالِغَةُ وَ الْمَغَالَاةُ بِدُونِ مُوجِبٍ. وَ أَمَّا التَّفْرِيطُ،
فَهُوَ التَّقْلِيلُ وَ اللَّمْبَالَاةُ وَ الرَّخَاوَةُ بِدُونِ مُوجِبٍ. فَالْأُمَّةُ
الْوَسْطُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ، تَتَكَوَّنُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ
يُتَّبِعُونَ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَسْطِ وَ يَتَجَنَّبُونَ الْإِفْرَاطَ وَ التَّفْرِيطَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ !

إِنَّ الْأُمَّةَ الَّتِي سَيَشْهَدُ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ يَرْضَى
عَنْهَا، هِيَ الْأُمَّةُ الَّتِي يَنْبَغِي تَعْرِيفُهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ : { كُنْتُمْ خَيْرَ
أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ }. وَ

وَ إِنَّ الْخَصَائِصَ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَتَّصِفَ بِهَا هَذِهِ الْأُمَّةُ، تَتَّبَلُّورُ
فِي أَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا : يَقُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَ سَلَّمَ : (يَسِّرُوا وَ لَا تُعَسِّرُوا ، وَ يَسِّرُوا وَ لَا تُنْفِرُوا ،
وَ تَطَوَّعُوا وَ لَا تَخْتَلِفُوا)